

الباب الرابع

اتجاهات أبي بكر جابر الجزائري في تفسير القرآن

اتجاهات التفسير الذي اعتمد أبو بكر جابر الجزائري في كتابه نداءات الرحمن لأهل الإيمان بثلاثة اتجاهات التفسير، هي: الاتجاه الصوفي، والاتجاه الفقهي، والاتجاه الكلامي. وقد وجد الباحث الأربعين النداء بالاتجاه الصوفي من التسعين النداء، والخامس والعشرين النداء بالاتجاه الفقهي من التسعين النداء، والخامس والعشرين النداء بالاتجاه الكلامي من التسعين النداء. أنظر قائمة الاتجاهات (١،١).

١. الاتجاه الصوفي

هذا الاتجاه ينقسم إلى قسمين، التصوف النظري و التصوف العلمي. هنا بين أبو بكر جابر الجزائري بالاتجاه التصوف العلمي. كما بين الباحث في الباب الثاني أن هذا الاتجاه يبحث التصوف الذي يقوم على التقشف والزهد والتفاني في طاعة الله تعالى.^١ يبحث الباحث بالأمثلتين:

الأول، قد فسر أبو بكر جابر الجزائري في النداء الأول في سورة البقرة (١٠٤) "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ". و بين أبو بكر جابر الجزائري في هذه الآية في الأدب مع رسول الله ﷺ. كما يفسره في كتابه:

هذا نداء الله تعالى لعباده المؤمنين، ناداهم بعنوان الإيمان؛ لأن المؤمن حي بإيمانه، يسمع ويعقل ويقدر على الفعل والترك بخلاف الكافر، فإنه لا يسمع ولا يعقل ولا يفعل إن أمر، ولا يترك إن نهي، واعلم أيها القارئ لهذا النداء أن الله تعالى إذا نادى عباده المؤمنين إنما يناديهم ليأمرهم بما

^١الفرماوي، البداية...، ص. ٣٠.

فيه سعادتهم وكمالهم، أو لينهاهم عما فيه شقاؤهم ونقصانهم أو ليبشرهم، أو يندرهم، أو ليعلمهم ما ينفعهم، ولنستمع إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وقد قال له رجل: اعهد إلى يا عبد الله، فقال له: إذا سمعت الله يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} فأعرها سمعك فإنه خير يؤمر به أو شر ينهى عنه. وقد نادى الله تعالى عباده المؤمنين في هذه الآية لينهاهم عن كلمة راعنا، ويرشدهم إلى كلمة انظروا؛ وذلك لأن المنافقين من اليهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ راعنا وهى في لغتهم العبرية بمعنى الاستهزاء والسخرية، فكانوا بذلك يستهزؤون بالرسول ﷺ ويسخرون منه، والاستهزاء بالرسول والسخرية منة كفر، فنهى الله تعالى المؤمنين أن يقولوا للرسول ﷺ إذا جلسوا إليه يتعلمون الكتاب والحكمة راعنا وليقولوا بدلها وهى في العربية بمعناها أنظروا بمعنى أمهلنا، ولا تعجل علينا حتى نحفظ أو نفهم ما تقول لنا. وأمرهم بالإصغاء والسماع عند تلقي العلم والمعرفة والتأدب في ذلك. وأعلمهم أن للكافرين وهم المستهزؤون برسول الله ﷺ والساخرون منه من اليهود وغيرهم عذابا أليما أي شديدا موجعا، وقد ينالهم في الدنيا قبل الآخرة، وفي هذه الآية الكريمة بيان وجوب الأدب مع رسول الله ﷺ، وحرمة الإساءة إليه بقول أو عمل هذا مع الجهل وعدم العلم، أما مع العلم بأن اللفظة أو الحركة فيها إساءة أدب مع رسول الله ﷺ فإن ذلك هو الكفر بعينه، والعياذ بالله تعالى، وكما أن إساءة الأدب مع رسول الله محرمة وقد تكون كفرا مع التعمد والقصد، فإن إساءة الأدب مع المربي والمعلم والمرشد والأمير محرمة أيضا، كما أن عيب المؤمن أو احتقاره أو الهزء به أو السخرية منه محرمة وفاعلها فاسق إن لم يتب من ذلك، ولنقرأ قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمٍ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٍ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} ألا

فلنحذر إساءة الأدب مع الله ورسوله ﷺ فإذا ذكر الله تعالى أو تلى كتابه يجب أن نصغي ونخشع، ولا نرفع أصواتنا، أو نضحك، وإذا ذكر رسول الله ﷺ أو حديثه يجب أن نصغي ويظهر علينا إجلاله واحترامه وحبّه وتقديره، وهذه ثمرة هذا النداء الإلهي الذي أكرمنا الله تعالى بحفظه وفهم معناه. فلنجتنبها ولننتفع بها، ولنحمد الله تعالى عليها ونشكره، وهو أهل الحمد والشكر والثناء.^٢

في هذه الآية بين أبو بكر جابر الجزائري في الأدب مع رسول الله ﷺ والمربي والمرشد والمعلم والأمير. قال أبو بكر جابر الجزائري في كتابه منهاج المسلم يكون الأدب معه رسول الله صلى الله عليه وسلم:^٣

١. بطاعته، واقتفاء أثره، وترسم خطاه في جميع مسالك الدنيا والدين.
٢. أن لا يقدم على حبه وتوقيره وتعظيمه حب مخلوق أو توقيره أو تعظيمه كائنا من كان.
٣. موالاة من كان يوالي، ومعاداة من كان يعادي، والرضا بما كان يرضى به، والغضب لما كان يغضب له.
٤. إجلال اسمه وتوقيره عند ذكره، والصلاة والسلام عليه، واستعظامه وتقدير شمائله وفضائله.
٥. إحياء سنته وإظهار شريعته، وإبلاغ دعوته، وإنفاذ وصاياه.
٦. خفض الصوت عند قبره، وفي مسجده لمن أكرمه الله بزيارته، وشرفه بالموقوف على قبره صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

^٢ أبو بكر جابر، نداءات الرحمن...، ص. ٧-٨.

^٣ أبو بكر جابر الجزائري، منهاج المسلم، ط. ٤ (د.م: دار السلام، دون تاريخ)، ص. ٦٧.

٧. حب الصالحين وموالاتهم بحبه، وبغض الفاسقين ومعاداتهم ببغضه.

الثاني، قد فسر أبو بكر جابر الجزائري في النداء الثاني في سورة البقرة (١٥٣) " { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } " . و بين أبو بكر جابر الجزائري في هذا الآية في الإستعانة بالصبر والصلاة، كما يفسره في كتابه:

أذكر أيها القارئ الكريم والمستمع المستفيد قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إذا سمعت الله تعالى يقول: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا } فأعرها سمعك فإنه خير يأمر به أو شر ينهى عنه. أو بشري يرفها، أو خطر يحذر منه، فإذا أمرك فافعل وإذا نهاك فاتته، وإذا بشرك فابشر واحمده، وإذا حذرك فاحذر وانج بفضلته، واذكر أيها القارئ والمستمع أن نداء الله تعالى لك بإيمانك شرف لك وأي شرف!! وإلا فمن أنت حتى يناديك رب العالمين!! واذكر أن شرفك كان بالإيمان به تعالى وبلقائه وملائكته وكتبه ورسوله وقضائه وقدره، إن الإيمان بمثابة الروح للإنسان، فالمؤمن بحق حي، والكافر ميت، فاحمد الله تعالى علي نعمة الإيمان واطلب التقوى وحققها تظفر بأعظم مطلوب ألا وهو ولاية الله تعالى لك، فإن من والاه الله أكرمه وما أهانه وأسعده وما أشقاه. وسمع قوله تعالى في أولياته: { أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ. هَؤُلَاءِ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } أرايت كيف بين الله تعالى من هم أولياؤه بقوله: { الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ } ، فاعمل أيها المؤمن القارئ والمستمع على تحقيق التقوى. واعلم أن التقوى هي طاعة الله ورسوله بما أوجبا من الأوامر وما حرما من المناهي، وذلك بعد معرفة العبد المؤمن أوامر الله ورسوله ونواهيهما، وهذه المعرفة تتطلب جهدا كبيرا. كما أن

النهوض بفعل الأوامر وهي كثيرة وشاقة على النفس يتطلب جهداً أكثر من جهد المعرفة، وأما ترك المنهيات فإنه وإن كان لا جهد فيه ولا مشقة ولا معاناة، إلا أن النفس الأمارة بالسوء واللوامة معا تضغطان على العبد حتى ترغماه علي فعل المنهي إلا أن يجد العبد من الله عوناً فإنه يسلم من التلوث بأوضاع فعل المنهي عنه، ويحتفظ بطهارة روحه التي هي مفتاح دار سعادته.^٤

وهنا أيها القارئ والمستمع يجد المؤمن نفسه في حاجة ماسة إلى عون إلهي كبير حتى يحقق التقوى المتوقفة على العلم وكيفية العمل وأدائه علي الوجه المطلوب المحقق لزكاة النفس وطهارتها. وهذا هو ذا الرب تبارك وتعالى يرشدنا إلى طريق الحصول علي عونه لعباده المؤمنين فيقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} فعلى كل مؤمن أن يستعين بالصبر وهو حبس النفس على طلب العلم حتى يعلم ما يجب ربه وما يكره، وكيف يؤدي المحبوب على الوجه الذي يرضي الله تعالى، وحبسها علي فعل الطاعات حتى تؤديها علي الوجه الذي يثمر زكاة النفس وطهارتها وحبسها بعيدة عن المحرمات والمنهيات، وحبسها على مجاري الأقدار فلا تسخط ولا تجزع ولكن ترضى وتصبر بهذا الصبر يستعين المؤمن والله معه ناصر ومؤيده، وكما يستعين المؤمن بالصبر يستعين بالصلاة كما أمره الله تعالى والاستعانة بالصلاة تكون بأدائها في أوقاتها مستوفاة الأركان والشروط وبأهم أركانها وهو الخشوع فيها. فقد كان النبي (صلي الله عليه وسلم) إذا حزبه أمر فزع إلي الصلاة. إذ الصلاة تولد نورا للقلب ولا تولده عبادة غيرها، وصاحب نور القلب لا يقع في غضب الله تعالى بترك واجب ولا بفعل مكروه، وهذا هو العون المطلوب بالصبر والصلاة. والله مع

^٤ أبو بكر جابر، نداءات الرحمن...، ص ٩.

الصابرين بتأييدهم ونصرتهم بعد وقايتهم وحمايتهم من كل مكروه. فاللهم اجعلنا منهم وارض عنا كما رضيت عنهم.^٥

والخلاصة بهذا الأمثلتين، هما في النداء الأول بين أبو بكر جابر الجزائري في الأدب مع رسول الله ﷺ، وفي النداء الثاني بينه في الإستعانة بالصبر والصلاة. في هذا المادة الأدب،^٦ والصبر يجمعان من التصوف العلمي.

٢. الإتجاه الفقهي

وقد وجد الباحث الخامس والعشرين الآيات النداء بالإتجاه الفقهي من التسعين النداء في كتاب أبو بكر جابر الجزائري نداءات الرحمن لأهل الإيمان. كما بين الباحث في الباب الثاني أن هذا الإتجاه هي تقويم السلوك بتبين آيات الأحكام الشريعة بواسطة العلم الذي يسمى بالفقه.^٧ هنا يبحث الباحث بالأمثلتين:

الأول، قد فسر أبو بكر جابر الجزائري في النداء التاسع في سورة البقرة (٢٦٧) " { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ } ". هذا يفسر الآية من وجوب إخراج الصدقة من طيب المال، وحرمة إخراجها من خبيثة إلى النصاب في الأنعام. كما بين أبو بكر في تفسيره:

^٥ أبو بكر جابر، نداءات الرحمن...، ص ١٠.

^٦ ولمزيد البيان اقرأ الفصل الرابع من الأدب مع رسول الله ﷺ من كتاب منهاج المسلم للمؤلف. أنظر أبو بكر جابر، منهاج المسلم، ص. ٦٥.

^٧ آل جعفر، منهاج المفسرين...، ص. ١٣٩.

اعلم أيها القارئ الكريم أن هذا النداء الإلهي الرحيم يحتوى على ما يلي من التعاليم الإلهية
المسعدة للإنسان المؤمن، المزكية له وهى:

- وجوب إخراج الصدقة من طيب المال.
- حرمة إخراجها من خبيثة.
- بيان وجوب الزكاة مما كسبه المؤمن من الأنعام، وهى الإبل والبقر والغنم، إن بلغت النصاب وحال عليها الحول. ومما كسبه من الدنانير والدرهم أو ما يقوم مقامها من العمل المتداولة اليوم بين الناس إن بلغت النصاب وحال عليها الحول.
- بيان وجوب الزكاة من الخارج من الأرض وهو الحبوب كالبر والشعير والذرة والزيتون والزبيب والتمر، إن بلغ نصابا، وكان مقتاتا مدخرا، أما ما لم يكن مقتاتا كالفلفل والبصل والثوم فلا زكاة فيه، وكذلك ما لا يدخر وإن كان مقتاتا كالبطيخ والقثاء والرمان والتين والتفاح والبرتقال، إلا أنه يستحب التصدق من كل خارج من الأرض مما لا تجب فيه الزكاة لعدم توفر شرطي الزكاة فيه وهو الاقتيات والادخار.^٨
- هل تدري مانصاب هذه المراكيات أيها المؤمن أو المستمع؟ إنها في الإبل خمس من الإبل، وفي البقر ثلاثون بقرة، وفي الغنم ضأنا أو ماعزا أربعون شاة، وفي الوجوب والتمر خمسة أسوق، والوسق ستون صاعا، والصاع أربع أمداد أي حفنات، وفي العمل قيمة سبعين جراما من الذهب.^٩

^٨ أبو بكر جابر، نداءات الرحمن...، ص. ٢٥.

^٩ أبو بكر جابر، نداءات الرحمن...، ص. ٢٦.

أرأيت أيها القارئ إن قيل لك عرفنا النصاب، في الأنعام لكنا ما عرفناكم الخارج منه؟
 فعلمه أن من ملك خمسة من الإبل زكاها بشاة من الغنم، ومن ملك عشرة زكاها بشاتين، ومن
 ملك خمسة عشر زكاها بثلاث، ومن ملك عشرين زكاها بأربع شياه، ومن ملك خمسا وعشرين
 زكاها ببنت مخاض أوفت سنة ودخلت في الثانية، وإن من ملك ثلاثين بقرة وجب عليها فيه عجل
 يتبع أمه أوفى سنة. ومن ملك أربعين من الغنم وجب فيها شاة، وما زاد على ما ذكر يطلب من
 كتب الفقه المطولة وهذا جدول مختصر لها.^{١٠}

واعلم أيها القارئ أن ما بين الفريضتين يسمى وقصا، وأنه لا زكاة فيه مثاله في الخمس من
 الإبل شاة حتى تبلغ عشرا، ما بين الخمسة والعشر لا زكاة فيه، وهكذا فالغنم في الأربعين شاة وفي
 المائة وواحدة وعشرين شاتان، فالعدد ما بين الأربعين إلى مائة وعشرين وقص لا زكاة فيه أي معفو
 عنه فاذكرها ولا تنساها فإنه لا بد منها.^{١١}

هذا وهل فهمت من النداء قول الله تعالى: {وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ} إن معناه
 حرمة إخراج الزكاة أو الصدقة من رديء المال وفاسدة ذاك الذي لو أعطيته أنت ما قبلته ورددته
 على صاحبه، اللهم إلا أن تغمض عينيك وتقبله حتى لا تغضب عليك من أعطاكه، وهو معنى قوله
 تعالى: {إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ} . وأخيرا أذكر ما ذكرنا الله تعالى به في هذا النداء الكريم إذ قال تعالى
 {وَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَمِيدٌ} حتى لا تسول لك نفسك أن الله في حاجة إلى صدقة متصدق، فتمن

^{١٠} أبو بكر جابر، نداءات الرحمن...، ص. ٢٦.

^{١١} أبو بكر جابر، نداءات الرحمن...، ص. ٢٧.

ذلك عليه، أو أن الله فرض الصدقة لأجل أن يحمد من المتصدق عليهم، لا، لا، فإنه تعالى غني حميد بإفضاله وإنعامه على خلقه حميد بصفات الجلال والكمال فيه، إذ له الحمد في السموات والأرض وله الحمد في الآخرة. وهو العزيز الحكيم.^{١٢}

والثاني، قد فسر أبو بكر في النداء العاشر في سورة البقرة (٢٧٨-٢٨٠) " { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (٢٧٩) وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨٠) } . و في هذه الآية بين أبو بكر الجزائري في الأمر بالتقوى وترك ما بقى من الربا إلى الذنب من الربا وتقسيم الربا. كما بين أبو بكر في تفسيره:

اعلم أيها القارئ أو المستمع لهذا النداء العزيز أن هذا النداء وجه للمؤمنين ليأمرهم بأمرين عظيمين: الأول: تقوى الله عز وجل، وذلك بطاعته وطاعة رسوله ﷺ؛ إذ الله تعالى لا يتقى غضبه وعقابه إلا بالاستسلام والانقياد له وذلك بحب ما يحب، وكره ما يكره، وفعل ما يأمر به، وترك ما ينهى عنه، والثاني: ترك ما بقى من الربا بعد تحريمه بقوله: { وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا } فمن بقى له شيء من فوائد الربا فليتركها لمن هي في ذمته.^{١٣}

ولخطورة هذا الموقف وصعوبته على النفس البشرية: ذكرهم بإيمانهم؛ إذ الإيمان الصحيح هو بمثابة الطاقة الدافعة فقال لهم: { إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } فإن إيمانكم قدرة قوية تحملكم على تقوى الله

^{١٢} أبو بكر جابر، نداءات الرحمن...، ص. ٢٧.

^{١٣} أبو بكر جابر، نداءات الرحمن...، ص. ٢٨.

وترك ما بقى من الربا عند المدينين لكم. وفي الآيتان بعد هذه حذرهم مهددا لهم بسوء عاقبة الاستمرار في هذه المعصية الكبيرة فقال: {فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا} أي ما أمرتكم به من التقوى وترك ما بقى لكم من الربا {فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} وهل من حارب الله ورسوله يفوز وينتصر لا، والله بل يخسر وينكسر، ثم أرشدهم لحل مشكلة تحدث لهم بعد توبتهم وهى أن رؤوس أموالهم مع أرباحهم تبقى عند المدينين لهم فكيف يصنعون بها. فأرشدهم إلى أخذ رؤوس أموالهم التي هي تحت يد المدينين وترك الأرباح التي كانت لهم بحكم التعامل الربوي المحرم. وإن من كان معسرا من المدينين لهم فلينتظروه حتى ييسر الله عليه ويدفع لهم رأس مالهم، وإن هم تكرموا بترك ذلك المال صدقة منهم على المعسر فذاك خير إن كانوا يعلمون ثمرة الإحسان بعد الإساءة والتوبة بعد الذنب، فقال {وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}.^{١٤}

هل عرفت أيها المؤمن القارئ أو المستمع عظم ذنب المراهي واكل الربا، وأزيدك معرفة بقول الله تعالى: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ} - أي من قبورهم - {إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ} أي يضربه الشيطان ضربا غير منتظم، والمس اللمس ومن لمسه الشيطان يصرع فورا. فالمرابي يقوم يوم القيامة من قبره كالجنون الذي كلما قام صرعه الجنان.^{١٥}

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "لعن الله آكل الربا وموكله وكتابه وشاهديه" ويقول "اجتنبوا السبع الموبقات" ويذكر منها أكل الربا. فإذا عرفت أيها القارئ عظم ذنب آكل الربا. فاعرف ما هو الربا حتى تجتنبه وتدعو المؤمنين إلى اجتنابه إنه نوعان:

^{١٤} أبو بكر جابر، نداءات الرحمن...، ص. ٢٨.

^{١٥} أبو بكر جابر، نداءات الرحمن...، ص. ٢٩.

الأول: ربا الفضل: وهو بيع ربوى بآخر مع فضل زيادة. والربويات هي الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح، ويقاس على البر الذرة وكل مقتات مدخر فإذا باع أحدا ذهباً بذهب، أو فضة بفضة وجب أن يكون المقدار متساويا وأن يكون في مجلس واحد أي يد بيد، وكذا إن باع قمحا بقمح وإن اختلف الجنس كأن يباع ذهب بفضة، أو قمح بشعير مثلاً فيجوز التفاضل ولكن بشرط أن يكون يدا بيد.^{١٦}

الثاني: ربا النسيئة: أي التأخير وهو أن يعطى المرء لآخر مالا يسدده بعد عام مثلاً على أن يزيد فيه، فإذا أعطاه ألفاً يردّها بعد العام ألف ومائة مثلاً وكلما تأخر السداد زاد في رأس المال؛ حتى يصبح أضعافاً مضاعفة كما قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }.^{١٧}

وأخيراً اعلم أيها القارئ أن سر علة تحريم الربا هي أنه يقطع التراحم بين المؤمنين، وكل ما يؤدي إلى القطيعة بين المؤمنين فهو حرام؛ لأن المؤمنين يجب أن يعيشوا إخواناً متعاونين متحابين، يقرض بعضهم بعض القروض طويلة الأجل، ولا يرجو من ذلك سوى الأجر والمثوبة من الله تعالى؛ لأن القرض في الأجر كالصدقة بل أعظم منها، كما أن المضاربة وهي أن يعطى المؤمن أخاه مالا يتجر فيه والربح بينهما فيها فائدتان: الأولى: نماء المال. والثانية: عون الفقير على الكسب والربح. ومثل المضاربة المشاركة شفى الزراعة والصناعة في تنمية المال، وإفاضته بين المؤمنين لذا حرم الله الربا وأحل البيع. فله الحمد وله المنّة، وصلى الله وسلم على نبيه وآله وسلم تسليماً كثيراً.^{١٨}

^{١٦} أبو بكر جابر، نداءات الرحمن...، ص. ٢٩.

^{١٧} أبو بكر جابر، نداءات الرحمن...، ص. ٢٩.

^{١٨} أبو بكر جابر، نداءات الرحمن...، ص. ٢٩.

والخلاصة بهذا الأمثلتين، هما في النداء التاسع بين أبو بكر جابر الجزائري وجوب إخراج الصدقة من طيب المال، وحرمة إخراجها من خبيثة، وفي النداء العاشر بينه في الأمر بالتقوى وترك ما بقى من الربا، يجمعان البحث من الفقه.

٣. الاتجاه الكلامي

بين الباحث في الباب الثاني أن هذا الاتجاه الكلامي هو الذي يهتم المفسر بمعارف القرآن وآياته الإعتقادية الباقية عن المبدأ والمعاد وغيرها وتأيد ذلك بالأدلة النقلية والعقلية.^{١٩} كما يفسر أبو بكر جابر الجزائري كتابه، و يبحث الباحث بالأمثلتين:

الأول: قد فسر أبو بكر جابر الجزائري في النداء الثاني عشر في سورة آل عمران (١٠٠ - ١٠١) "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"}. وبين أبو بكر جابر الجزائري هذان آيتان بالتحذير من طاعة بعض أهل الكتاب حتى لا يفسدوا على المؤمن دينه، كما يفسره في كتابه:

وها هو ذا تبارك وتعالى ناداهم ليخبرهم محذرا لهم في طاعة بعض أهل الكتاب من اليهود والنصارى؛ فإنهم إن أطاعوهم كفروهم بردتهم عن الإيمان، فقال عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} أي بالله ربا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً {إِنَّ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} وهم الحاقدون على الإسلام والمسلمين، المغتاظون لظهور الإسلام وانتشار نوره في المشرق والمغرب، إن

^{١٩} عفيف الدين، علم التفسير، ص. ٨٣.

تطيعوهم فيما يزينون لكم ويحسنون من الباطل والكفر الخفى، وفيما يقبحون لكم من أحكام الإسلام، وعباداته، وآدابه، وأخلاقه، بدعوى أنها منافية للديمقراطية والحرية الشخصية، أو أنها تعوق عن التقدم الحضارى، أو أنها كانت فيما مضى صالحة، أما اليوم فنحن في عصر الذرة وغزو الفضاء، فإنها تخلف أصحابها وتقعدهم بهم دون الحضارة والتقدم هؤلاء وهم طائفة اليهود والنصارى ممن يدعون العلم والمعرفة، وهم يحملون العداء للإسلام وأهله، هؤلاء إن تطيعوهم فتعتقدوا صحة ما يزينون لكم، وتأخذون بما يقدمون لكم من توجيهات وإرشادات ظاهرها أنها في صالحكم وباطنها فيها خزيكم، وذلكم هؤلاء إن تطيعوهم يردوكم بعد إيمانكم كافرين إذا فالخذر الخذر أيها المؤمنون وخذوا بهذه النصائح القراءانية الغالية، فإنكم تنجون من كيد أعدائكم الماكرين بكم، الطالبين بعدكم عن مصدر عزتكم وقوتكم وسيادتكم وقيادتكم.^{٢٠}

واعلموا أن في الآية الكريمة بعد هذه مباشرة أكبر حصن لكم، وأعظم سور لمناعتكم من أعدائكم الكائدين لكم من هذا الفريق الذي تقدمت صفاته وهم أهل الحقد والتغيظ على الإسلام وأهله؛ لشعورهم أن الإسلام هو سبيل النجاة، وأن ما هم عليه من اليهودية أو النصرانية هو طريق الخسران في الدنيا والآخرة. وإنما منعهم من الإسلام حب الرئاسة، والمصالح المادية التي يعيشون عليها بين أتباعهم والشهوات المسيطرة على نفوسهم؛ لأن الإسلام يحرم منها ويبعد عن ساحتها؛ لذا هم مصرون على الكفر وتكفير المؤمنين ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا. ومثل هؤلاء بعض رجالات الرافضة في كونهم يعضون أهل السنة والجماعة، ويبدلون الغالي والرخيص في صرف أهل السنة والجماعة عن سبيل النجاة إلى سبيل الهلاك بالتشيع القائم على تكفير خيرة الأصحاب أبي

^{٢٠} أبو بكر جابر، نداءات الرحمن...، ص. ٣٣.

بكر وعمر وعثمان وغيرهم، وتحريف معان آيات الله، وأحاديث رسول الله ﷺ تصحيحاً لمذهبهم الباطل، لحمل الأجيال على اعتناقه ليهلكوا معهم ويحرموا الجنة دار السلام مثلهم، لأن الذي يكفر مؤمناً فهو كافر فما بالك بالذي يكفر من رضى الله عنهم وأنزل ذلك في كتابه في قوله: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ} وهم ألف وأربعمائة من أصحاب رسول الله ﷺ وعلى رأسهم العشرة المبشرون بالجنة، فكيف يرضى عنهم اليوم ويخبر برضاه عنهم ويكفرون بعد موت نبيهم، إن هذا اتهام لله عز وجل بأنه لا يعلم الغيب وأنه كالإنسان يرضى اليوم ويغضب غداً. وهذا هو الكفر بعينه كما يقال. فتنبه أيها المؤمن القارئ المستمع لهذا النداء...^{٢١}

أما الحصن المانع من الوقوع في الكفر الذي يدعوا إليه الحاقدون عن الإسلام من يهود ونصارى، ورافضة، فهو في قوله تعالى: {وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ} . ومعنى هذه الآية أنه من العجيب أن يكفر مؤمن تتلى عليه آيات الله، وبين يديه رسوله يوجهه ويرشده ويحميه من مظلات الفتن. ومعنى هذا أن المناعة كل المناعة للمؤمن من الزيغ والكفر في العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فعلى المؤمنين أن يحيا عهد رسول الله ﷺ وذلك بأن يتعاهدوا في مدتهم وقراهم على الاجتماع كل ليلة في بيوت ربهم من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء يتعلمون الكتاب والحكمة ويعملون بما يعلمون يجد وصراحة وصدق، وأما المسافر فإنه يأتي مسجد أهل البلد الذي سافر إليه ويشهد معهم الصلاتين، ويسمع معهم الكتاب والحكمة، ويعمل بهما ويعلمهما، وبذلك يعظم ويفوز.^{٢٢}

^{٢١} أبو بكر جابر، نداءات الرحمن...، ص. ٣٤.

^{٢٢} أبو بكر جابر، نداءات الرحمن...، ص. ٣٥.

وأخيرا يخبر تعالى عباده المؤمنين مبشرا لهم بأن من يعتصم بالله أي بكتابه وسنة رسوله فقد هدى إلى صراط مستقيم، فلا يضل ولا يشقى.^{٢٣}

والثاني: قد فسر أبو بكر جابر الجزائري النداء السادس عشر في سورة آل عمران (١٤٩-١٥٠) "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرْدُوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ" بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ". وبين أبو بكر جابر الجزائري هذان آيتان بحرمة طاعة الكفار وما يترتب عليها من هلاك وخسران، كما يفسره في كتابه:

أذكر أيها القارئ الكريم أن هذا النداء الإلهي لعباده المؤمنين يحمل تحذيرا لهم وإنذارا من الوقوع في فتنة الكفر بعد الإيمان، والضلال بعد الهداية، بل والموت بعد الحياة، إذ الكافر ضال بكفره ميت، والعياذ بالله من الكفر بعد الإيمان، والموت بعد الحياة. إنه لم تمت تلك الهزيمة للمؤمنين في معركة أحد الخالدة، بسبب معصية بعضهم لرسول الله ﷺ وما من حقهم أن يعصوه، وما عصوه كفرا به ولا استخفافا بطاعته، ولكن زين لهم الشيطان وحسنت لهم نفوسهم ترك المراكز الدفاعية التي أنزلهم الرسول بها وحذرهم من تركها ومغادرتها مهما كانت الظروف والأحوال، إلا أنهم لما شاهدوا العدو فارا منهزما وإخوانهم في صفوف القتال يجمعون الغنائم هبطوا من جبل الرماة وجروا وراء العدو يجمعون الغنائم كإخوانهم، وما إن أدخلوا مراكزهم الدفاعية حتى مال إليها العدو واحتلها وسلط عليهم وابل السهام والنبال فهزمهم، وفروا هاربين تاركين رسولهم، تسيل دماؤه، وهو يدعوهم: إلى عباد الله، إلى عباد الله. كما قال الله تعالى: {إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ} الأول: غم فوات النصر والغنيمة. والثاني: القتل وجراحات نبيهم ﷺ

^{٢٣} أبو بكر جابر، نداءات الرحمن...، ص. ٣٥.

إذ جرح في وجهه وكسرت رباعيته ﷺ، وهنا في هذه الحالة المحزنة المخيفة قال من قال من المنافقين، ارجعوا إلى دينكم وإخوانكم فلو كان مُجَدِّداً نبيا ما قتل عمه وكثير من أصحابه، وجرح هو وكسرت رباعيته... ومنهم من قال: استكينوا لأبي سفيان وأصحابه واستأمنوهم، أي اطلبوا أمانكم منه؛ لأنهم الغالبون إلى غير هذا مما هو رغبة في العودة إلى الكفر بعد الإيمان، والعياذ بالله الرحمن.^{٢٤}

وفي هذا نزلت الآية الكريمة وما بعدها: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرْدُّوْكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ} بل الله مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ . فدللت أولا على أن الذين نادوا بالعودة إلى دين الآباء، والاستكانة إلى قائد المشركين، وطلب الأمان منه، هم كفار في الباطن مؤمنون في الظاهر، وهم المنافقون ورؤساءهم كابن أبي وإخوانه.^{٢٥}

وثانيا: أن طاعة الكافر والأخذ برأيه أو توجيهه وإرشاده تؤدي بمن أطاعه إلى الكفر حتما، ومن كفر بعد إيمانه فقد خسر خسرانا مبينا، وليس هذا خاصا بزمان دون زمان أو مكان دون مكان، بل طاعة الكافر تؤدي المطيع حتما إلى الكفر، _ إذ الكافر لا يأمر ولا يدعو ولا يهدي إلا إلى ما هو فيه وعليه. من الضلال والكفر، والخبث، والشر، والفساد.^{٢٦}

وثالثا: أن الطاعة الواجبة وهي المنجية من الخسران في الدنيا والآخرة هي طاعة الله، ورسوله، وأولى الأمر من المؤمنين، لا طاعة الكافرين والمنافقين؛ لأن من طلب النصر على العدو فليطلبه من الله مولاه القوى القدير العزيز، الحكيم، العليم، الخبير، لا من عدوه وعدو مولاه، وهو الكافر الضال الحائر الهالك المتهالك، فهل مثل هذا يطلب منه النصر؟ ولنعد تلاوة الآية الكريمة:

^{٢٤} أبو بكر جابر، نداءات الرحمن...، ص. ٤٣.

^{٢٥} أبو بكر جابر، نداءات الرحمن...، ص. ٤٤.

^{٢٦} أبو بكر جابر، نداءات الرحمن...، ص. ٤٤.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَزِدُّوكُمْ عَلَىٰ أَغْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ }

. أي أطيعوه وأطلبوا النصر منه، فإنه ينصركم وهو خير الناصرين ألا فليعلم هذا عباد الله اليوم وليؤمنوا بالله وليتقوه فيصبحوا حقا عبيده، وهو مولاهم الحق الذي لا مولى لهم سواه، ويومئذ إن أصابهم خوف، أو حلت بهم هزيمة لمخالفتهم هدى ربهم ونبيه ﷺ فليطلبوا النصر منه سبحانه وتعالى فإنه ينصرهم ولا يذلهم ولا يخزيه وهو مولاهم، وهم لا مولى لهم سواه.^{٢٧}

ألا فليعلم هذا كل مؤمن ومؤمنة، وليطيعوا ربهم، ونبیهم وولى أمرهم منهم... ولا يقبلوا طاعة غيرهم من أهل الكفر، والنفاق، والشرك، والجهل، من العرب أو العجم على حد سواء وليطلبوا نصر الله على من عاداهم أو حاربهم أو سألهم فإن الله لا يخلف وعده في قوله: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ } وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَصْلَ أَعْمَالُهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَخْبَطَ أَعْمَالَهُمْ } ألا فلنقبل على الله في صدق ولنتق في وعده فإن الله لا يخلف وعده.^{٢٨}

والخلاصة بهذا الأمثلين، هما في النداء الثاني عشر بين أبو بكر جابر الجزائري بالتحذير من طاعة بعض أهل الكتاب حتى لا يفسدوا على المؤمن دينه، في النداء السادس عشر بينه في حرمة طاعة الكفار وما يترتب عليها من هلاك وخسران، يجمعان البحث من الكلامي.

لماذا ثلاثة اتجاهات التفسير في كتاب نداءات الرحمن لأهل الإيمان؟ لأنه من عواملين، هما:

^{٢٧} أبو بكر جابر، نداءات الرحمن...، ص. ٤٤.

^{٢٨} أبو بكر جابر، نداءات الرحمن...، ص. ٤٥.

١. من توسع علوم المصنف، وقد تحقق بالمعلومات المذكورة كالتصوف والفقه والعقيدة وغيرها. وكذلك من كتب التي كتبه فيما سبق كعقيدة المؤمن ومنهاج المسلم و أيسر التفاسير، وغير ذلك.

٢. من آيات التي قد فسرهما المؤلف، فيمكن أن يفسره بهذه المعلومات، مثل آية الشكر، فسرهما باتجاه الصوفي الأخلاقي. وكذلك آيات الأحكام، فسرهما باتجاه الفقهي وغيرها.

قائمة الإجتاهات (١،١)

رقم	الإجتاه الصوفي	الإجتاه الفقهي	الإجتاه الكلامي
١	النداء الأول	النداء الرابع	النداء السادس
٢	النداء الثاني	النداء الخامس	النداء الثاني عشر
٣	النداء الثالث	النداء السابع	النداء الرابع عشر
٤	النداء الثامن	النداء التاسع	النداء السادس عشر
٥	النداء الثالث عشر	النداء العاشر	النداء السابع عشر
٦	النداء الخامس عشر	النداء الحادي عشر	النداء الثاني والعشرون
٧	النداء الثامن عشر	النداء التاسع عشر	النداء الخامس والعشرون
٨	النداء الثالث والعشرون	النداء العشرون	النداء السادس والعشرون
٩	النداء الرابع والعشرون	النداء الواحد والعشرون	النداء السابع والعشرون
١٠	النداء الثالث والثلاثون	النداء الثامن والعشرون	النداء الواحد والثلاثون
١١	النداء الواحد والأربعون	النداء التاسع والعشرون	النداء الثاني والثلاثون
١٢	النداء الثاني والأربعون	النداء الثلاثون	النداء الرابع والثلاثون
١٣	النداء الرابع والأربعون	النداء السابع والثلاثون	النداء الخامس والثلاثون
١٤	النداء السادس والأربعون	النداء الثامن والثلاثون	النداء السادس والثلاثون
١٥	النداء السابع والأربعون	النداء التاسع والثلاثون	النداء الخامس والأربعون
١٦	النداء الثامن والأربعون	النداء الأربعون	النداء الخمسون

١٧	النداء التاسع والأربعون	النداء الثالث والأربعون	النداء الواحد والخمسون
١٨	النداء الرابع والخمسون	النداء الثاني والخمسون	النداء الثالث والخمسون
١٩	النداء السابع والخمسون	النداء السادس والخمسون	النداء الخامس والخمسون
٢٠	النداء الثامن والخمسون	النداء الثاني والستون	النداء الخامس والستون
٢١	النداء التاسع والخمسون	النداء السابع والسبعون	النداء السابع والستون
٢٢	النداء الستون	النداء الثمانون	النداء التاسع والسبعون
٢٣	النداء الواحد والستون	النداء الخامس والثمانون	النداء الواحد والثمانون
٢٤	النداء الثالث والستون	النداء السادس والثمانون	النداء الثالث والثمانون
٢٥	النداء الرابع والستون	النداء الثامن والثمانون	النداء الرابع والثمانون
٢٦	النداء السادس والستون		
٢٧	النداء الثامن والستون		
٢٨	النداء التاسع والستون		
٢٩	النداء السبعون		
٣٠	النداء الواحد والسبعون		
٣١	النداء الثاني والسبعون		
٣٢	النداء الثالث والسبعون		
٣٣	النداء الرابع والسبعون		
٣٤	النداء الخامس والسبعون		
٣٥	النداء السادس والسبعون		
٣٦	النداء الثامن والسبعون		
٣٧	النداء الثاني والثمانون		

		النداء السابع والثمانون	٣٨
		النداء التاسع والثمانون	٣٩
		النداء التسعون	٤٠